المقدمة

يعد الإمام أبي حامد الغزالي (٤٥٠ – ٥٠٥هـ/ ١٠٥٨ – ١١١١م) مدرسة قائمة بذاتها، تمكنت من التأثير في حياة الأمة الإسلامية، الفكرية والعقدية والأخلاقية. فقد وعى علوم الدنيا والدين حتى صار حجة الإسلام وإمام المسلمين، وطبقت شهرته الآفاق.

فالغزالي فقيه وأصولي ومتصوف وأخلاقي ومتكلم وفيلسوف الإسلام. خاض غمار العلوم والمعارف، باحثاً ومنقباً، مؤلفاً وشارحاً، ناقداً وموجهاً ومفسراً.

لذلك ترك الإمام الغزالي في بنية الفكر الديني الإسلامي أثراً كبيراً، استمر حتى اليوم، وذلك بما عرف عنه من أسلوب راقٍ، ينم عن إمكانات خطيب مفوه، وعالم نفسٍ ضليع وصوفي زاهد.

إلاَّ أَنَّ هذه الصورة الناصعة، شابتها تناقضات في حياته الفكرية والروحية، بدءاً من بواكير حياته الأولى وظروف نشأته وتناقضات معيشته، وما رافق ذلك من تحولات فكرية أضفت على حياة الإمام الغزالي، نوعاً من التشويق وجعلت منها محوراً للعديد من الدراسات والبحوث قديماً وحديثاً.

وهذا البحث محاولة للوقوف على تلك التناقضات والتحولات في حياة الغزالي الفكرية والروحية، ومن ثم تعليلها قدر الإمكان.

الباحث

حياة الإمام أبي حامد الغزالي

ازدهرت في القرن الرابع والخامس والنصف الأول من القرن السادس للهجرة مناهج الفلسفة الاسلامية في المشرق الإسلامي، واكتملت معالم الصوفية وتعمقت مضامينها الروحية والعقدية عند المسلمين. في الوقت الذي كانت فيه حاضرة الخلافة العباسية بغداد ومعها المشرق الإسلامي تتقلب من سيطرة الأتراك إلى النفوذ البويهي وأخيرا سيطرة السلاجقة على مقدرات الدولة العربية الإسلامية. وكانت تلك الأحداث السياسية والعسكرية تنطوي على ما هو اخطر وابعد تأثيراً على حياة المسلمين أَلاَّ وهو الفكر والعقيدة.

ففي حين ازدهرت علوم الشيعة الأمامية والزيدية برعاية بويهية في القرن الرابع للهجرة نمى الفكر ألمعتزلي من جديد[١].

وبالمقابل أَنشأ السلاجقة المدارس النظامية لنشر الفقه الشافعي والفكر الأشعري، وتزامن ذلك مع نشاط الفاطميين في مصر للدعوة المنظمة للمذهب الاسماعيلي الباطني إذ جعلوا من الأزهر الشريف مركزاً لهذا النشاط[٢].

وقد صمدت الخلافة العباسية في بغداد بوجه المد الفاطمي المتعاظم ورفع الخليفة العباسي القادر بالله وخلفه القائم بأمر الله (٣٨١ – ٤٦٧هـ/ ٩٩١ – ١٠٧٤م) سلاح الفكر والعقيدة بوجه ما كان يواجه العباسيين من تحديات[٣].

في هذه الأجواء المشحونة والتجاذبات المصيرية،

---

(١) متز، آدم: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مكتبة الثقافة الدينية في القاهرة، ط١، ٢٠٠٤، ج١/ص١١١.

(٢) ابو ريان، د. محمد علي: تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام، دار الجامعات، الاسكندرية، مصر، ١٩٧٤، ص٣٥٣.

(٣) الماوردي، علي بن محمد ت٤٥٠هـ: قوانين الوزارة وسياسة الملك، تحقيق ودراسة: د. رضوان السيد، دار الطليعة، ط١، بيروت، ١٩٧٩، مقدمة التحقيق ص٥٩.

ولد الإمام أبو حامد محمد بن محمد أبن محمد الغزالي سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م بمدينة طوس[١] من أعمال خراسان[٢]. وكان أبوه فقيراً صالحاً لا يأكل إلا من كسب يده إذ كانت مهنته غزل الصوف[٣]. ولما حضرته الوفاة وصىّ بأبنيه إلى صديق له متصوف. فأقبل الصوفي على تعليم محمد وأخيه احمد حتى نفذ ما تركه والدهما من مال، وتعذر على الصوفي القيام برعايتهما، فالتجأ إلى إحدى المدارس طلباً للعلم والرعاية[٤].

تتلمذ الإمام أبو حامد في بلدة طوس على يد عدد من العلماء ثم رحل إلى نيسابور[٥]، وهي آنذاك عاصمة السلاجقة ومدينة العلم بعد بغداد، ولازم الإمام أبا المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين[٦]، حتى توفي الجويني سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م. فخرج الغزالي قاصداً وزير السلاجقة نظام الملك (ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م)[٧]، وهو لم يتجاوز الثامنة والعشرين من عمره، وقد ذاع صيته وظهر فضله، وكان

(١) طوس: هي مدينة في خراسان. بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ وتشتمل على بلدتين هما الطابران والنوقان. ياقوت، شهاب الدين الحموي (ت٦٢٦هـ):معجم البلدان تقديم: محمد عبدالرحمن مرعشلي، دار احياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ، ج١/ص٢٧٢.

(٢) ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن (ت٥٧١هـ): تاريخ دمشق الكبير، تحقيق: العلامة ابو عبد الله علي عاشور، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١، ج٥٨/ ص١٤٩.

(٣) السبكي، تاج الدين (ت٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه، القاهرة، ١٩٦٥، ج٣/ ص٣٦٩.

(٤) الغزالي، محمد بن محمد: ايها الولد، تحقيق: احمد مطلوب، وزارة الاوقاف، بغداد، ١٩٨٦، ص١١.

(٥) نيسابور: مدينة في خراسان سميت بهذا الاسم لأن سابور مر بها فأمر ببنائها. ياقوت: معجم البلدان، ج٩/ص٣٦٧.

(٦) ابوالمعالي الجويني: هو عبدالملك بن ابي محمد المعروف بامام الحرمين تولى التدريس في نظامية بغداد وجاور البيت الحرام خمس سنين ولذلك سمي بإمام الحرمين ولد سنة ٤١٠هـ وتوفي سنة ٤٧٨هـ. ابن خلكان، ابو العباس احمد بن محمد (ت٦٨١هـ): وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان، تحقيق: د. يوسف علي طويل ود. مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ج٣/ ص١٦٧.

(٧) نظام الملك: هو ابو علي الحسن بن علي الطوسي كان من اولاد الدهاقين وَزَر للسلاجقة وبنى المدارس النظامية. ولد سنة ٤٠٨هـ وقتل سنة ٤٨٥هـ. ابن خلكان: وفيات، ج٢/ ص١٠٩.

مجلس الوزير نظام الملك مجمع أهل العلم. فبرز فيه الغزالي وبان ذكاؤه وعلمه[١]. وتلقاه نظام الملك بالتعظيم والتبجيل وولاه التدريس في نظامية بغداد سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م[٢]. وكان ذلك المنصب العلمي الرفيع غاية ما يطمح إليه العلماء ويتنافسون فيه[٣].

وفي بغداد توثقت العلاقة بين الغزالي والخلافة العباسية. فقد توثقت تلك العلاقة بين الغزالي والخليفتين المقتدي بالله والمستظهر بالله (٤٦٧– ٥١٢هـ/ ١٠٧٥ – ١١١٨م) وعلت مكانته لديهما وصار منظرًّا ومدافعاً عن الخلافة العباسية وشرعيتها. إذ أقام البراهين على شرعيتها ووجوب طاعتها من قبل المسلمين[٤]. وبالمقابل حاز الغزالي على رضا الخلافة ودعمها وصار إمام الفكر والعقيدة والأخلاق والتصوف وتبحرّ في كل علم وطريقة[٥].

وتجلت مظاهر الرضا والدعم من قبل العباسيين للغزالي، من تكليف المقتدي بالله له سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م بسفارة الى السلاجقة[٦].

إلاَّ أنَّ الغزالي ترك بغداد على حين غرة قاصداً بلاد الشام وذلك سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥ وأناب أخاه في التدريس بالمدرسة النظامية في بغداد[٧].

أقام الإمام أبو حامد الغزالي في دمشق والقدس سنتين قام خلالهما بزيارة المشاهد والمواقع المعظمة. وصنفَّ في أثناء ذلك كتابه الأشهر ((إحياء علوم الدين)) وغيره من المؤلفات. وسلك طريق الزهد والتصوف. ثم قصد مصر وأقام في

---

(١) السبكي: طبقات الشافعية، ٣/ ٣٦٩.

(٢) المصدر نفسه، ٣/٣٦٩.

(٣) الندوي، السيد ابو الحسن علي: رجال الفكر والدعوة في الاسلام، تقديم: الدكتور مصطفى السباعي والدكتور: والدكتور: مصطفى الخن، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ٢٠٠٧، ج١/ ص٢٢٥.

(٤) الغزالي، محمد بن محمد: فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار الكتب الثقافية، القاهرة في ١٩٦٤، ص١١٧ وما بعدها.

(٥) الغزالي، محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، بلا تاريخ، ج١/ ص١٢–١٣.

(٦) الندوي، رجال الفكر، ج١/ ص٢٢٥.

(٧) ابن خلكان: وفيات، ج٤/ص٥٩.

مدينة الإسكندرية ويقال أنه قصد من إقامته في الإسكندرية بمصر ركوب البحر إلى بلاد المغرب ليلتقي بالأمير يوسف بن تاشفين. إلاَّ انه عدل عن هذا الأمر بعد أن ورده الخبر بوفاته سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م[١]. ثم عاد إلى وطنه (طوس) وصنف هناك الكثير من الكتب في عدة فنون. واستمر في اعتزاله التدريس إلى إن استدعاه وزير السلاجقة فخر الملك سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م للتدريس في نظامية نيسابور. ولكنه لم يلبث في ذلك طويلاً فقد قتل الوزير فخر الملك سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م[٢]. فغادر الغزالي نيسابور الى طوس ولزم بيته وانقطع إلى الوعظ والعبادة والتدريس وقراءة كتب الحديث النبوي الشريف. واستمر على ذلك إلى أن توفاه الله يوم الاثنين ١٤ جمادي الآخرة ٥٠٥هـ/ ١١١١م ودفن بظاهر قصبة الطابران من طوس[٣].

المناخ الفكري في عصر الإمام أبي حامد الغزالي

كان القرنان الرابع والخامس للهجرة عهد الضعف والانحلال السياسي والعسكري والاقتصادي للخلافة العباسية. إلا أنَّ هذا الانحلال قابلهُ ازدهار لمختلف العلوم والمناهج الفكرية والعقائدية، واكتملت المذاهب الإسلامية على اختلاف توجهاتها، ولكن فيه أيضا ظهر التقليد وانسد باب الاجتهاد إلا في نطاق النصوص والقواعد[٤]. وصار التعصب للمذهب الفقهي سمةٌ من سمات ذلك العصر، فضلاً عن التعصب العقائدي[٥].

---

(١) الغزالي، محمد بن محمد: الدرة الفاخرة في معرفة علوم الآخرة، تحقيق: جميل ابراهيم حبيب، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٨٦، ص٤. الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني: اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩، ج١/ص٩.

(٢) الزبيدي: اتحاف السادة المتقين، ج١/ ص١٠.

(٣) ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج٤/ ص٦٠.

(٤) السامرائي، خليل ابراهيم: دراسات في تاريخ الفكر العربي، جامعة الموصل، ١٩٨٣، ص١٧٣.

(٥) الجومرد، د. جزيل والنعيمي، د. نزار محمد: الوزارة العباسية في أحرج أوقاتها، بحث منشور في مجلة الأحمدية الاماراتية، العدد ١٤، ٢٠٠٣، ص٣٤٧ .

وقبيل سيطرة البويهيين على بغداد سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م وأثناءها ازداد نشاط مجتهدي الشيعة في التأليف والإنتاج الفكري، وأصبح للشيعة قواعد فكرية تأصلت في ذلك العصر[١].

وازدهرت الفلسفة على يد الفارابي (ت٣٣٩هـ/٩٥٠م) وابن سينا (ت٤٢٨هـ/١٠٣٧م) واكتملت معالم الطرق الصوفية[٢].

ومن الطبيعي أن تشتد حدة الصراع المذهبي والعقائدي بين المسلمين بعد ان تعمقت وتباينت مضامين الحياة الروحية والفكرية في الإسلام حتى وصل الانقسام إلى داخل العائلة الواحدة[٣].

ولم ينته ذلك الانقسام والاختلاف بنهاية عصر البويهيين سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م. بل ازداد خطر الباطنية والفواطم والقرامطة على الخلافة العباسية حتى بعد أن كسبت حليفاً قوياً ومن مذهبها العقائدي[٤]. إذ أنَّ هذا الحليف السني نشط في مجال الفكر والعقيدة فبادر بإنشاء المدارس النظامية للدفاع عن المذهب السني وان كان ضمن الفقه الشافعي والفكر الأشعري يقابله نشاط فاطمي منظم تنظيماً عالياً[٥]. عالياً[٥].

---

(١) من مجتهدي الشيعة بعد انتهاء عصر الائمة الاثني عشر سنة ٢٦١هـ، هم ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ/٩٤٠م) فقد الف كتاب اصول الكافي، وابو عمرو الكشي (ت بداية القرن الرابع للهجرة) الف كتاب الرجال أو (اخبار الكشي)، وابن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م) الف كتاب عيون اخبار الرضا، والشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ/١٠٢٢م) الف كتاب شرح عقائد الصدوق. للمزيد ينظر، متز، ادم: الحضارة الاسلامية، ج١/ ص١٠١-١١٢.

(٢) ابو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي، ص٣٥٣.

(٣) يذكر عن عائلة في بغداد ان افرادها انقسموا الى ابن شيعي وابنة حرورية (خارجية) وامرأة معتزلية، واخت مرجئية، ورب الاسرة سني جماعي. ينظر: التوحيدي، ابو حيان علي بن محمد (ت ٤٠٠هـ): الامتاع والمؤانسة، صححه وضبطه: احمد امين واحمد الزين، دار الحياة، بيروت، بلا تاريخ، ج٢/ص٧٦-٧٧.

(٤) علاوي، طيب صالح: المواقف الفكرية للخلفاء العباسيين من الفرق الاسلامية، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية/ جامعة تكريت، ٢٠٠٦، ص١٢٦.

(٥) ابو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي، ص٣٥٣.

وفي تلك الأثناء بدأت طلائع الغزو الصليبي لبلاد الشام وتزامن ذلك مع استمرار اعتداءات الروم على التخوم الشمالية للعالم الإسلامي وازدادت قسوتها ووطئتها مع تعمق الانقسام السياسي والمذهبي الإسلامي[١]. وذلك الانقسام الحاد الذي لم يعد مقتصراً على الأصول بل شمل الفروع في الشريعة والفقه. فبعد ان كانت الفتن تنشب بين الشيعة والسنة على الأغلب[٢]. صرنا نلحظ صراعاً وفتناً تحدث بين الاشاعرة والحنابلة في بغداد والمشرق الإسلامي. وبين الحنابلة والمعتزلة كذلك[٣].

وتجاهل أبناء الدين الواحد ما كان يحيق بهم وبدينهم من خطر الروم والصليبيين ومحاولات التخريب الفكري والعقائدي المتعمد من قبل الباطنية[٤].

أما الصوفية ورغم الجفاء بينها وبين أهل الحديث ممثلين بالحنابلة فقد اصطفت في أحيان كثيرة إلى جانب أهل الحديث وعامة أهل السنة ضد الفلسفة وأصحاب المناهج العقلية، وأهل الباطن وكل من يخالف العقيدة الإسلامية[٥].

بهذه الفوضى الروحية والفكرية والمذهبية طُبع عصر الغزالي وكادت الأوضاع أن تصل إلى حد الانفجار، بعد ان تفاقمت حدة الخلافات ولم تفلح إجراءات الخلافة العباسية لتوحيد العقيدة ولَمْ شعث المسلمين[٦].

في تلك الأجواء المشحونة ولد ونشأ الإمام الغزالي، وهو يرى اضطراب وتقلص سلطان السنة مقابل نمو قوة الفرق المناوئة. إلا أنَّ الانعطافة التي خدمت

---

(١) سبط ابن الجوزي، ابو المظفر يوسف (ت٦٥٤هـ): مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، تحقيق: جنان خليل الهموندي، الدار الوطنية، بغداد، ١٩٩٠، ص١١٧.

(٢) ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن (ت٥٩٧هـ): المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥. حوادث السنوات ٣٥٣هـ، ٣٦٣هـ، ٣٨٢هـ، ٣٩٢هـ، ٤٠٦هـ، ٤٠٨هـ، ٤٣٧هـ، ٤٤١هـ، ٤٤٥هـ.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج٩/ ص٣٦٧. ابن الاثير، ابو الحسن علي (ت ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨، ج٨/ص٩٤.

(٤) العلوجي،عبدالحميد: الباطنية وتياراتها التخريبية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٩، ص١١٠.

(٥) ابو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي، ص٣٥٤.

(٦) الماوردي: قوانين الوزارة، مقدمة المحقق، ص٦٤.

الإسلام وعقيدتهُ، هو إنشاء الوزير السلجوقي نظام الملك (ت٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) المدارس التي سميت باسمه (المدارس النظامية) ضمن نطاق سيطرة السلاجقة ونفوذهم. وأخذت هذه المدارس تعمل على نشر العلوم الإسلامية ومنها علم الكلام[١].

لقد شبه الامام الغزالي عصره بالبحر العميق وخاض لجته غير هيّاب[٢].

الغزالي بين الشك واليقين

اشتهر الإمام الغزالي بغزارة الإنتاج الفكري وتنوعه، فقد رهن حياته من أجل التأليف والتوضيح والنقد وبأسلوب راقٍ في كافة مجالات المعرفة الإنسانية. فنجد نزعة التحليل طاغية لكثرة ما خاض من علوم وعقائد ومحاورات عقلية ومنطقية[٣].

إلاَّ أَنَّ تقسيمه للمعرفة إلى أربع مستويات يعكس اضطراباً نفسياً وعقائدياً توارى خلف تحليلٍ علميٍ دقيقٍ، بتقسيمه للمعرفة إلى مورثة وتقليدية ومكتسبة وحسية وعقلية والهامية[٤].

فالغزالي مَيَّزَ بين أربع مستويات للمعرفة هي الشك والظن والاعتقاد واليقين. فالشك وهو أول خطوة في طريق اليقين عند الغزالي هو أن يعتدل التصديق والتكذيب. والظن أن تميل نفسك إلى أحد أمرين مع الشعور بإمكانية صحة الأمر الأخر. والاعتقاد أن تميل نفسك إلى التصديق بشيءٍ ويغلب ذلك مع معرفة محققة ولا يخطر بالبال غيره. أما اليقين فهو المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا شك منه ولا يتصور الشك فيه فإذا امتنع الشك وإمكانه يسمى ذلك يقيناً[٥].

---

(١) الدليمي، عكاب يوسف جمعه: الحنابلة في بغداد (٤٤٧ – ٥٧٥هـ) اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٠، ص٩١.

(٢) باسيل، فكتور سعيد: منهج البحث عن المعرفة عند الغزالي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بلا تاريخ، ص٨.

(٣) عبد الحميد، د. عرفان: الامام الغزالي، دراسة في المنهج، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، تشرين الاول ١٩٨١، ص٥٨٥.

(٤) الجبوري، عبد اللطيف جدوع: الفلسفة التربوية عند الغزالي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، ص١٣٤.

(٥) الغزالي: احياء علوم الدين، ج١/ ص٧٢-٧٣.

ومع أن الغزالي تناول مستويات المعرفة الأربع والتي خاض فيها قبله فلاسفة اليونان والمسلمين ومنهم إخوان الصفاء[١]، إلا أن تلك المعالجة تشيرمن طرف خفي إلى اضطراب وقلق وحيرة تدرج فيها الغزالي بين الشك واليقين ليس كما أعلن في العلم بل أيضا في العقيدة. فقد ضمنها كتابه في الأخلاق والعقيدة ((إحياء علوم الدين))[٢]. الذي ألفه أثناء إقامته بدمشق بعد سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م[٣].

فتذكر الكثير من المصادر انه مَرَّ بأزمةٍ روحيةٍ ونفسيةٍ خلالها[٤]. فيبدو لي ان تلك الأزمة النفسية والروحية جسدها بمستويات المعرفة التي ذكرها، وإن كانت برمزية تخفى على البعض.

ومن الملاحظ على عصر الغزالي وقبله بقليل انتشار الشك نتيجة لطغيان النزعة العقلية والتناقض والتباين في أفكار الفرق الإسلامية المختلفة، فقد شك أبو العلاء المعري (ت٤٤٩هـ/١٠٥٧م) وضمن اغلب شعره تلك الشكوك ومنها:

لا بعــثُ يرجــى للثــواب ومــا سـمعتُ فـي ذلـك دعـوى مبطـل هـزلا

وكيــف للجســم أن يــدعى إلــى رغد من بعد مارم في الغبراء أو أزلا؟

وهل يقوم لحمل العبء من جدثٍ ظهـر وأيسـر مـا لاقـاه أن جـزلا[٥]؟

---

(١) علاوي، طيب صالح: الحياة العلمية والفكرية في العراق والمشرق الاسلامي في ظل السلطة البويهية، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى جامعة تكريت/ كلية التربية، ٢٠٠٩، ص١٧٦.

(٢) الغزالي: احياء علوم الدين، ج١/ ص٧٢-٧٣.

(٣) الغزالي، محمد بن محمد: تهافت الفلاسفة، قدم له: احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠، ص١٧.

(٤) الغزالي، محمد بن محمد: المنقذ في الضلال، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، ص٦٠.

(٥) المعري، ابو العلاء احمد بن عبدالله التنوخي: اللزوميات، دار صادر بيروت، ١٩٦١، ج٢/ص٣٢.

إلاَّ أَنَّ هذا الشك الذي ملأ حياة المعري يختلف عن شك الغزالي الذي عدل عنه. فالمعري كان يمثل النزعة العقلية المطلقة بينما كان الغزالي يمثل النزعة العقلية المقيدة بأصوله الصوفية والأشعرية[١].

ويبدو أن أسباب هذا الشك عند الغزالي ترجع الى ظروف حياته الأولى وتنقله في بيئات مختلفة. فالغزالي ولد في أسرة فقيرة وتوفي والده وهو ما زال طفلاً ورعاه هو وأخيه احد المتصوفة[٢] إذ لابد إن الغزالي قد تأثر به.

وكان الغزالي يحس منذ صباه بفضول علمي شديد وخيال واسع أخرجاه من أفاق ما تعلمه في صباه من أُطرٍ مقيّدة وعلوم مقدسة. حتى انه لم يكتف بما تعلمه في مرابع صباه بطوس فالتحق بإمام الحرمين أبو المعالي الجويني (ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م) وذلك سنة ٤٧٣هـ/١٠٨٠م ولازمه حتى وفاته. وكان ابو المعالي شيخ الشافعية في وقته. وَسُئِلَ أبو المعالي عن قوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [٣] بحضور الغزالي فأجاب ((كان الله ولا عرش)) وجعل يتخبط وعندما قطعه احد الحاضرين بالحجة بكى (أبو المعالي) وصاح بالحيرة ونزل عن مجلسه يتخبط وهو يقول الحيرة الحيرة والدهشة الدهشة[٤]. فلعل نشأة شكوك الغزالي الأولى كانت قد نمت وترعرعت في رحاب امام الحرمين. فهذه المدة هي من أخصب أدوار حياته، ومما لا شك فيه أن تأثير الأستاذ على تلميذة وعلى توجهاته الفكرية والروحية كان كبيراً[٥].

ومن الصفحات المهمة في حياة الإمام الغزالي، إقامته في بغداد وتدريسه في نظاميتها للمدة (٤٨٤–٤٨٨هـ/١٠٩١–١٠٩٥م) فعلى الرغم من حياة الترف والجاه

---

(١) باسيل: فكتور منهج البحث، ص١٥.

(٢) الزبيدي: اتحاف السادة المتقين، ١٢/١.

(٣) سورة طه، الآية ٥.

(٤) الذهبي، شمس الدين محمد، (ت٧٤٨هـ): سير اعلام النبلاء، تحقيق: محب الدين ابي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٦، ج١٤/ ص٢١.

(٥) الغزالي: تهافت الفلاسفة، ص١٠ – فضائح الباطنية، ص٥.

التي كان ينعم بهما إلاّ أنّه مرَّ خلالها بأزمات نفسيةٍ عنيفةٍ، وصفها في ((المنقذ من الضلال)) وأَدت به تلك الأزمات إلى شكوكٍ اعترته في معتقده، ودخل بسبب ذلك في صراع عنيف مع الذات تتجاذبها شهوات الدنيا ودواعي الآخرة[١].

ففي بغداد كانت للبيئة أثرها الواضح في أزمته الشكية الجديدة وفي حيرته وتردده. فالغزالي الذي عاش حياة الفقر والعوز في بواكير حياته، قَدِمَ بغداد وهو لم يتجاوز الرابعة والثلاثين من عمره. والتدريس في نظامية بغداد، غاية ما يتنافس فيه علماء ذلك العصر. وقلما تقلد ذلك المنصب عالم وهو في هذا السن المبكرة[٢]. ومما زاد في عجبه وخيلاءه أنه قد أُعجب به الناس، وعلت حشمته وسمت درجته حتى غلبت حشمة الأمراء ودار الخلافة، فقد زاد تلاميذه على الثلاثمائة طالب علم[٣].

فالتناقض الحاد بين حالهُ في سني عمره الأولى وبين ما أصبح عليه حاله في بغداد أَدخله في تلك الأزمة الشكية الجديدة. ويتجلى ذلك من خلال وصفه لحاله في بغداد فهو يقول عنها: ((ثم لاحظت أحوالي فإذا أنا منغمس في العلائق وقد أحدقت بي من الجوانب، ولاحظت أعمالي وأحسنها التدريس والتعليم، فإذا أنا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة))[٤].

ويستطرد الغزالي في شرح وضعه النفسي المتأزم فيقول: ((فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قريباً من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وثمانين واربعمائه ... ثم لما أحسست بعجزي وسقط بالكلية اختياري التجأت الى الله تعالى التجاء المضطر الذي لا حيلة له، فأجابني الذي يجيب المضطر إذا دعاه،

---

(١) الغزالي: المنقذ من الضلال، ص٥٩.

(٢) السبكي: الطبقات الشافعية، ج٣/ ص٣٧٢. الزبيدي: اتحاف السادة المتقين، ج١/ص١٣.

(٣) الغزالي: المنقذ من الضلال، ص٥٨.

(٤) الغزالي: المنقذ من الضلال، ص٥٩.

وسهل على قلبي الأعراض عن الجاه والمال والأولاد والأصحاب، وأظهرت عزمي على الخروج إلى مكة وأنا أدبر في نفسي سفر الشام حذراً إن يطلع الخليفة))[١].

ومن الواضح من خلال وصف الغزالي لحالة ببغداد كيف إنه كان في صراع نفسي عنيف تتجاذبه بقوة شهوات الدنيا والجاه والكبر الذي أَصابه مع ما يحمله من العلم والإيمان اللذين يدعوانه الى الآخرة. ولاشك أن ذلك الصراع هو من أصعب التحديات.

ودخل الإمام الغزالي دمشق مطلع عام ٤٨٩هـ/١٠٩٥م ولبث فيها أياما لم يجد فيها ما يقيم به أوده من قلة ذات اليد. ثم توجه إلى بيت المقدس فجاور به مدة، عاد بعدها إلى دمشق واعتكف بالمنارة الغربية لجامعها[٢].

ويبدو لي إن أقامته بالمنارة الغربية يحمل دلالة نفسية لافته في صراع الغزالي مع نفسه. فالمنارة الشرقية بدمشق هي التي اخبر عنها الرسول(ﷺ) بإن السيد المسيح (عليه السلام) سينزل فيها أخر الزمان[٣]. مع ما تعكسه رحلته بين دمشق والقدس ثم دمشق ثانيةً من اضطراب وتردد وعدم قدرة على اتخاذ القرار الذي يراه مناسباً، ومنها مجاورته لبيت المقدس. فالمجاورة التي اعتاد عليها المسلمون هي في مكة فالبيت الحرام هو أولى بالمجاورة من بيت المقدس.

والذي أراه أَنَّ الغزالي تأثر بقراءة الكتب الفلسفية واللاهوتية النصرانية والهلينية، التي تضع المكانة العليا لبيت المقدس، فضلاً عن ما يضعه الإسلام له من مكانةٍ، لكنه يأتي بالدرجة الثانية بالأهمية بعد البيت الحرام في مكة المكرمة. أو

---

(١) الغزالي: المنقذ من الضلال، ص٦١.

(٢) السبكي: الطبقات الشافعية، ج٣/ ص٣٧٥.

(٣) مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، حقق اصوله: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧، ص١٣١٩ حديث رقم ٧٢٩٩. ويذكر الامام مسلم ان المسيح ينزل في المنارة البيضاء شرقي دمشق، والمعروف ان الغزالي الى ذلك الوقت لم يقرأ صحيح مسلم والبخاري.

أنه كان يستقرئ الأحداث المستقبلية بما سيجري لبيت المقدس من غزوٍ وتخريبٍ على يد الصليبين في وقتٍ قريبٍ من مجاورة الغزالي فيه[١].

وصادف الغزالي يوماً عند دخوله المدرسة الامينية في دمشق مدرساً فيها يقول: قال الغزالي– فخشيَّ الغزالي على نفسه العجب، ففارق دمشق، وأخذ يجول في البلاد فدخل مصر ثم رجع يتجول في المشاهد، ويطوف على الترب والمساجد، ويأوي إلى القفار ويروّض نفسه ويجاهدها. ثم سار بعد ذلك لأداء فريضة الحج[٢].

وكان الغزالي يفكر في الجهاد تحت راية سلطان مجاهد هو يوسف بن تاشفين الذي عمت أخباره العالم الإسلامي بعد معركة الزلاقة التي أنتصر فيها على الأسبان سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م[٣]. إلا أن الأمر الذي يلتبس علينا وربما على غيرنا، انه كيف لم يفكر الإمام الغزالي بالجهاد أثناء الغزو الصليبي لبيت المقدس واحتلاله سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م[٤]. وهي قريبة من إقامته في بيت المقدس وبلاد الشام وترك بيت المقدس محتلاً وذهب إلى مصر يريد الذهاب إلى المغرب والالتحاق بيوسف بن تاشفين لولا ورود الأخبار إليه وهو في الإسكندرية بوفاته[٥]. ويبدو أن الغزالي كان يعتقد إن الجهاد يجب أن يكون وفق شروط ومنها الإمام الذي يبدو أنه كان بنظر الغزالي غير متوافر في المشرق الإسلامي ويجسده بحق يوسف بن تاشفين في المغرب الإسلامي. أو أنَّ الغزالي لم يفكر بالدفاع عن بيت المقدس وهو تحت سيطرة الفاطميين أعداء العباسيين أنذاك.

إنَّ رجوع الغزالي الى بغداد سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م وهي التي تركها سابقاً للأسباب التي ذكرها هو تعكس هي الأخرى نوبة شك وحيرة وتردد أصابته وحدت به

(١) المعاضيدي، د. خاشع وأخرون: الوطن العربي والغزو الصليبي، في جامعة الموصل، ١٩٨١، ص٤٦.
(٢) الزبيدي: اتحاف السادة المتقين، ج١/١٣.
(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧، ج٤/ص١١٥.
(٤) المعاضيدي وأخرون: الوطن العربي، ص٤٦.
(٥) ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج٣/ص١٦٨.

إلى الرجوع إلى بغداد وإن كان سوغَّ ذلك من اجل إصلاح ما فسد في حياة المسلمين[١].

لقد أرخ الإمام الغزالي حياته ووثَّق أزماته النفسية والفكرية في كتابه ((المنقذ من الضلال)). فالقارئ ((للمنقذ)) سرعان ما يكتشف ان المعنى الحقيقي لما يتحدث عنه الغزالي يختفي وراء المعاني والألفاظ الظاهرة. فالمنقذ يحمل في طياته المعاني الحقيقية مختفية في مغلفات الألفاظ. وهنا لا نتهم الإمام أبا حامد الغزالي بالكذب أو التدليس. إلاَّ أنَّ الانسجام الكبير الذي تعكسه شخصية الغزالي والتناقضات الحادة التي تعكسها أفكاره تدعونا إلى الاعتقاد أنه كاذب وصادق معاً في الوقت نفسه. كاذب في صدقه وصادق في كذبه. فالكلام عندما يكون مباشراً وواضحاً عند الغزالي فهو يعبر عن مكنون الفؤاد وينطق بلواعج النفس والتي لا يستطيع الغزالي ان يصرح بها علناً فيجمع لذلك الصدق والكذب معاً على ما يرى احد الباحثين المحدثين[٢].

إنَّ قراءة أفكار الغزالي وليس قراءة ((المنقذ من الضلال)) فقط تجعلنا نتجنب التجزئة في قراءتنا لأَي شخصية فكرية إسلامية فوحدة الفكر والممارسة كانت شبه متعذرة في عصر الغزالي لأَسباب عديدة ومتداخلة، منها ما يتعلق بالعقيدة ومنها ما يتعلق بالسياسة. إلاَّ أَنَّ العقيدة هي التي تحسم وترسم للمفكر طريقاً وعراً في مسالكه متشعباً في طرقه. مما جعل الانتماء إلى مذهب أو عقيدة أو طريقة بمعزل عما سواها أمراً عسيراً. فالمفكر والعالم والفقيه كان من الصعوبة البالغة عليه ان يكون سنياً أشعرياً أو حنبلياً أو صوفياً أو شيعياً امامياً أو باطنياً أو متفلسفاً معتزلياً دون ان يكون للمفكر قدرة النظر ولو بعين الناقد إلى ما حوله من عقائد وأفكار[٣]. وهذا الذي جعل الغزالي يتناول كافة العقائد والأفكار والطرق بشيء من الجرأة ومحاولة تقبل أفكار المخالفين ومن ثم تناولها بالتفنيد والنقض. فالوقوف موقف الرفض

(١) الزبيدي: اتحاف السادة المتقين، ج١/١٥.

(٢) بنسعيد، د.سعيد: الغزالي والفلسفة متاهات التأويل، بحث منشور في مجلة الفكر العربي، العدد/ ٤١ في اذار ١٩٨٦، ص٨٣.

(٣) بنسعيد، د.سعيد: الغزالي والفلسفة، ص٨٣.

المطلق للأَفكار والعقائد المتباينة لا يتلائم وروح عصر الغزالي مما جعله يلتمس اليقين متجرداً عن العقائد المتوارثة والتقليدية فلم يغادر باطنياً أو ظاهرياً أو فلسفياً أو متكلماً أو صوفياً أو متعبداً أو زنديقاً دون ان يقف على حقيقته. وربما أدخله ذلك في مزال الأقدام ومتاهات الطرق[١].

إن الدارس لحياة الإمام الغزالي وما أنتابها من تحولات فكرية لابد له أن يستعين بمؤلفاته لاسيما ((المنقذ من الضلال)) ليقف على منعطفات ذلك العالم الكبير. فا((المنقذ من الضلال)) يقص الغزالي فيه تفاصيل حياته الفكرية والروحية ورحلته من الشك إلى اليقين[٢]. وفي ((المنقذ)) يتجنب الغزالي التقليد فهو لديه قبول الأقوال بلا حجة أو برهان فالتقليد في هذه الحالة ليس طريقاً للعلم ولا يوصل إلى اليقين[٣].

ويحدد الغزالي موقفه من علم الكلام، ومن مذهب التعليمية ومن الفلسفة والفلاسفة، ثم من المتصوفة ويبين موقفه من النبوة ومن الشكوك التي تنتابها[٤]. وما ذلك إلا لشكوك انتابت الغزالي قبل غيره. فالشك عنده هو الطريق الموصل إلى الحق. غير أن الغزالي لم يبين لنا مصير المرء إذا بقي يتخبط في شكه ولم يهتد إلى اليقين. فللمرء عند الغزالي ان يكون حراً في أن لا يثق بعقيدة قديمة مهما أجمع عليها الناس لأحتمال أن تكون باطلة. عند ذلك فهو غير مسؤول عن الوصول الى نتيجة معينة تهدي ذلك الذي تخبط في شكه وأراد الغزالي ان يرشده او لا يهتدي الى شيء.

---

(١) الذهبي: سير، ج١٤/ص٣٢١.

(٢) الغزالي: المنقذ من الضلال، ص٧٣.

(٣) عبد الحميد، عرفان: الامام الغزالي، ص٥٨٦.

(٤) الغزالي: تهافت الفلاسفة، ص٩٤.

إلاَّ أنَّ الشك الذي هو طريق اليقين عند الغزالي لابد أن لا يكون مطلقاً وبدون قيود. ويجب أن يبقى هذا الشك مقصوراً على النخبة من العلماء[١]. فالغزالي لا يريد أن يكون الشك مذهباً للعامة.

إن أزمة الشك عند الغزالي حالة موضوعية لأَنها انعكاس لوضع تاريخي قائم في زمن الغزالي. أما حل هذه الأزمة فهو منوط بالغزالي وقدرته الذاتية في التحكم والصياغة للأفكار المختلفة والمتناقضة. حل يفترض عقيدة راسخة وظيفتها إضعاف العقائد المتهافتة وإعادة صياغتها بما يتوائم والعقيدة الإسلامية الصحيحة.

ويبدو لي إن الإمام الغزالي لم يوفق كل التوفيق في هذه المهمة العسيرة ففي أثناء عزلته الأولى (٤٨٨–٤٩٨هـ/ ١٠٩٥–١١٠٥م) كان ميله إلى التشاؤم والخيبة هو الظاهر[٢]. ويعكس ذلك إخفاقه في إيجاد حلول لمشاكله النفسية.

الغزالي والفلسفة ثنائية العداء والمهادنة

اشتهر الغزالي بهجومه اللاذع على الفلسفة والفلاسفة اليونان والمسلمين. وذاع صيت كتابه ((تهافت الفلاسفة)) حتى طبق الآفاق. ذلك الكتاب الذي وضعه إثناء تدريسه في نظامية بغداد بين سنتي (٤٨٤–٤٨٨هـ/١٠٩١–١٠٩٥م) ورد فيه على الفلاسفة القدماء كما يذكر في مقدمته مبيناً تهافت عقيدتهم وتناقض كلمتهم في الإلهيات[٣]. فضلاً عن كتابه ((مقاصد الفلاسفة)) والذي جاء في سياق هجومه على الفلسفة وأصحابها[٤].

---

(١) مبارك، د. زكي: الاخلاق عند الغزالي، المكتبة التجارية، مصر، بلا تاريخ، ص١٧٧.

(٢) الغزالي: احياء علوم الدين، ج٢/ ص٦١– ص٢٢٩.

(٣) الغزالي: تهافت الفلاسفة، ص٤٢.

(٤) الغزالي، محمد بن محمد: مقاصد الفلاسفة، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١، ص١ مقدمة المحقق.

ورمى الإمام أبو حامد الغزالي الفلاسفة بالإلحاد وعدهم في زمرة الشياطين الأشرار وغمار الأغبياء وما نتاجاتهم إلا خيالات فاسدة وأباطيل منمقة[١]. فما سبب هذا الهجوم اللاذع الذي شنه الغزالي على المتفلسفة المسلمين؟.

لقد حصل تحول كبير في مجرى تفكير العرب بظهور الإسلام. فالدين الجديد حمل معه دعوة صريحة إلى أعمال العقل والخروج به في دائرة الأوهام والأساطير. ودعا إلى النظر والتأمل والبرهنة والاستدلال نوافذاً للبحث العلمي الرصين[٢]. فلم تعرف البشرية ديانة مثل الإسلام تحترم العقل وتدعوا إلى التأمل والتدبر والتفكير[٣].

وخلال العصور اللاحقة ظهرت مشاريع فكرية تدعوا إلى دمج الفلسفة بالشريعة، والعقل بالدين. وكانت أولى هذه المحاولات على يد يعقوب بن إسحق الكندي (ت ٢٥٨هـ) والملقب بفيلسوف العرب[٤]. وتابعه في ذلك الفارابي (ت ٣٣٩هـ) وأبن سينا (ت ٤٢٨هـ). وكذلك إخوان الصفاء، إذ حاول هؤلاء الفلاسفة أن يجعلوا للفلسفة مكاناً في فهم الشريعة وتفسيرها[٥].

وعندما جاء الغزالي كان الخلاف بين الفلاسفة من جهة والفقهاء والمحدثين في جهة أخرى على أشده. فأنحاز الغزالي إلى جانب المحدثين والفقهاء ضد الفلسفة وفند مزاعمهم. يدعمه في ذلك موقف قوي من الخلافة العباسية ضد الفلاسفة وأهل البدع[٦].

إلاَّ أَن الغزالي نفسه كان قبل ذلك قد دعا إلى مزج المنطق الارسطوطاليسي بعلوم المسلمين واتخاذ ذلك منهاجاً وحيداً للبحث العلمي. ولكن ذلك كان في بداية

---

(١) الغزالي: تهافت الفلاسفة، ص٤٣.

(٢) جابر ،قاسم حبيب: الفلسفة الإسلامية، تاريخ وآصاله، بحث منشور في مجلة الفكر العربي، العدد ٨٥-٨٦، ١٩٩٦، ص٩١.

(٣) نعمة، عبد الله: فلاسفة الشيعة، حياتهم وأراؤهم، دار الفكر، بيروت، ط١،١٩٨٧، ص٢١.

(٤) راضي، تقي الشيخ: يعقوب بن إسحق الكندي وفلسفته، مطبعة سلمان الاعظمي، بغداد، ط١، ١٩٦٢، ص٩٩-١٠٠.

(٥) علاوي، طيب صالح: الحياة الفكرية، ص١٧٢.

(٦) علاوي، طيب صالح: المواقف الفكرية، ص١٤٩.

مسيرته العلمية[١]. فقد كان حسن الظن في المنطق اليوناني بل كان يعده شرطاً من شروط الاجتهاد وفرض على المسلمين. لكن الأمر انتهى به أخيراً في بغداد إلى التراجع عن تلك المواقف عندما تبين له كما يقول التعارض بين مبادئ المنطق اليوناني وبين النقل فلم ير بداً من مهاجمة الفلسفة والمنطق والوقوف مع عقيدة الإسلام[٢].

ومما لم يذكره من أسباب لاتخاذه هذا الموقف الجديد والمتشدد من الفلسفة، هو وجوده في بغداد حاضرة الخلافة العباسية التي انتهجت خطاً معارضاً للفلسفة وأهل الكلام منذ أيام الخليفة المتوكل (٢٣٢– ٢٤٧هـ/ ٨٤٧– ٨٦١م)[٣].

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن تحول الغزالي من الفلسفة واصطفافه مع أعدائها كان منطلقاً لتأسيس منهج البحث الإسلامي القائم على الاستقراء والتجريب مقابل المنهج الأرسطي الذي يقوم على البرهان والاستنباط. ومثّل ذلك لديهم نهاية الفلسفة الإسلامية وتحولها من المشرق الإسلامي إلى المغرب لتعرف انطلاقة جديدة على يد أبي بكر بن باجة الأندلسي (ت ٥٣٤هـ/١١٣٩م) وأبن رشد (ت٥٩٥/١١٩٨م) [٤].

لقد ضَمَّنَ الغزالي ((تهافت الفلاسفة)) عشرين مسألة لخص فيها مآخذه على الفلاسفة في الإلهيات والطبيعيات وان قسماً من هذه المسائل لا يلائم الإسلام بوجه وفيه تكذيب للأنبياء (عليهم السلام)، لذلك وجب على المسلمين تكفير الفلاسفة. وقسم لايتصل بأُصول الدين ولكن بفروعه فوجب عنده تبديع الفلاسفة[٥].استطاع

(١) النشار، علي سامي: منهاج البحث عند مفكري الإسلام، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦، ص٦٣.
(٢) بن سعيد، د.سعيد: الغزالي والفلسفة، ص٤٦.
(٣) علاوي، طيب صالح: المواقف الفكرية، ص٧٩.
(٤) عبد الرازق، د. مصطفى: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٧، ص٢٦٦ .
(٥) الغزالي: تهافت الفلاسفة، ص٧٦.

الغزالي أن يشوش على الفلاسفة في بعض مذاهبهم وأن يحد من مد الفلسفة الطاغي آنذاك إلا انه لم يستطع أن يغيبها طويلاً[١].

ولم يمض وقت طويل حتى بان عدم الرضا على ((تهافت الفلاسفة)) من كبير الاشاعرة بعد الإمام الغزالي، وهو أبو الفتح محمد بن أبي القاسم الشهرستاني (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) وهو شافعي أشعري. وذلك بمغادرته لطريقة الغزالي السفسطائية الجدلية في استعراضه لآراء المتكلمين من المسلمين[٢].

إلا أن الرد الأقوى جاء من أبن رشد (ت ٥٩٥هـ/١١٩٨م) إذ أَلفَّ كتابه ((تهافت التهافت)) رداً على الغزالي وأبن سينا ومن جاء بعدهما من فلاسفة ومتكلمين. وتناول أبن رشد كتاب ((تهافت الفلاسفة)) بالتفنيد فقرة فقرة. وبيَّن ما فيه من خلط بين المفاهيم، والتوظيف غير الموفق لما ساقه من آراء جدلية سفطسائية[٣].

ولم يتورع أبن رشد من اتهام الأمام أبي حامد الغزالي بالكذب. ففي موضوع صدور حياة ممن ليس بحي وعلم عما ليس بعالم يقول: ((وأما قوله (قول الغزالي) إنه يمكن أن يصدر مما ليس بحي حياة وعن ما ليس بعالم علم، يكون الشرف للمبدأ، وإنما هو من جهة ما هو مبدأ للكل فقط)) فقول كاذب (والكلام لأبن رشد) ((فإنه لو جاز أن يصدر عن ما ليس بحي حياة، لجاز أن يصدر عما ليس بموجود وجود)) [٤]. وقد أصاب أبن رشد في ذلك.

وفضلاً عن الكذب الذي رمى به الغزالي يتهم أبن رشد الغزالي بالتلون. فالغزالي أشعري مع الأَشاعرة، وصوفي مع الصوفية، وفيلسوف مع الفلاسفة. وأخذ على نفسه مهمة التوفيق بين الحكمة والشريعة من خلال الاعتراف بالنبوة على إنها

---

(١) أبن رشد، ابو الوليد محمد بن احمد الاندلسي (٥٩٥هـ): تهافت التهافت، قدم له: د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط١، ٢٠٠١، ص١٩.

(٢) أبن رشد: تهافت التهافت، ص٢٠.

(٣) أبن رشد: تهافت التهافت، ص٢٣.

(٤) أبن رشد: تهافت التهافت، ص٢٦.

عملٌ عقليٌ صرفٌ وفيضٌ الهيٌّ غير مباشر[١]. فعملية المزج هذه قوبلت باستهجان الفيلسوف أبن رشد، وبالتأكيد الرفض والهجوم الأقوى على الغزالي في ذلك جاء من أهل الحديث أعداء الفلسفة وأهل الكلام.

إنَّ هجوم الغزالي على الفلاسفة هو محاولة لهدم منهجهم العقلي الذي يمجد العقل ويجعله أعلى من الشريعة. إلاَّ أَنَّ ذلك لا يبرؤه من الفلسفة. فقد درس الغزالي الفلسفة وقرأ كتبها وظهرت في كتابه ((الإحياء)) نزعات فلسفية ممزوجة مع ما تضمنه من فقه وتصوف. فمعالجات الغزالي للكثير من المسائل الفقهية والفكرية صبغت بصبغة فلسفية جدلية[٢]. وهو بلا شك قد استقى من منابع الفلسفة آراءه في كل ما كتب عن الأخلاق والتصوف وصورَّ تلك الآراء الفلسفية بصورة دينية روحية تبدو للوهلة الأولى انها لا تمت إلى الفلسفة بسبب، وهي في الواقع متأثرة بها. وصار الغزالي بهجومه على الفلسفة كالولد العاق لها[٣].

وعن ذلك يقول الدكتور زكي مبارك ((إن الغزالي أصلى الفلسفة نار العقوق. فقد كانت الفلسفة سبب حصافته وذيوع صيته، ثم اطمع فيها العامة ومكن الجهال من تصغير الحكماء)) [٤].

وبهذا نرى أن موقف الغزالي من الفلسفة لم يكن دائماً بالوضوح الذي نعتقده. فهناك نصوص لدى الغزالي تأتي فيها أحكامه على الفلاسفة أقل قوة. وتأتي مواطن رفضه للفلسفة أكثر تحديداً وتحجيماً. يجعله بموقف المهادن للفلسفة والأقل عدائية لها. وشمل هذا الغموض والإضطراب موقفه من التراث اليونان ويأتي ذلك منسجماً

(١) جابر، قاسم حبيب، الفلسفة الإسلامية، ص١٠٢.
(٢) أمين، احمد: ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص٦٥١.
(٣) مبارك، زكي: الأخلاق عند الغزالي، ص٥٥.
(٤) مبارك، زكي: الأخلاق عند الغزالي، ص٥٥.

مع موقف عموم الاشاعرة في عصر الغزالي وقبله من غموض حول الفكر والتراث والفلسفة اليونانية[١].

لقد ارتبط الفكر الأشعري بالخلافة العباسية ارتباطاً وثيقاً، كان فيه الاشاعرة المدافعين بإخلاص عن الخلافة العباسية السنية وشرعيتها[٢]. ولذلك فأن المؤلفات السياسية للغزالي توضح لنا ما لا توضحه المؤلفات التي اعتدنا النظر اليها بتقدير متميز. فالأسباب كلها تكمن عند الغزالي في ذلك الارتباط الذي يحكم بوجوده بين الفلسفة والباطنية. فرأي الباطنية في النبوة مثلاً هو أن النبي عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بواسطة التالي قوة قدسية صافية. ومذهب الاشاعرة في المعاد هو ذاته عند الفلاسفة كما يعتقد الغزالي إلاَّ أَنَّ جماعة من الفلاسفة والثنوية شايعوا وأَيدوا الباطنية. فالخصوم الحقيقيين للغزالي ليسوا هم الفلاسفة بل الباطنية[٣]. على ما يبدو.

لقد لاقى الغزالي تشكيكاً من الكثير من علماء المسلمين بشأن حقيقة موقفه من الفلسفة. فالغزالي بنظرهم يميل إلى الفلسفة ويحسن الظن بالفلاسفة. ولكنه يظهر ذلك مستتراً وراء قوالب التصوف والشرع الإسلامي. وهو بذلك يجسد العلاقة العسيرة بين الفلسفة والدين الإسلامي. ولم يتمكن الغزالي من إقصاء الفلسفة بل ربما كان على العكس من ذلك فربما ارتمى في احضانها على ما يرى البعض[٤].

الغزالي يبدأ صوفياً ويختتم بالصحاح

الصوفية من لبس الصوف. ولبس الصوف ليس في حد ذاته ما يميز الصوفية. ولكن بعض الزهاد اتخذ من لبس الصوف وسيلة للعزوف عن الدنيا

(١) بنسعيد، د. سعيد: الفكر الأخلاقي السياسي الأشعري والثقافة اليونانية، بحث منشور في مجلة الفكر العربي، العدد: ٣٣-٣٤، ١٩٨٣، ص٤٠٩.

(٢) علاوي، طيب صالح: المواقف الفكرية، ص١٥٥.

(٣) بنسعيد، د.سعيد: الفكر الأخلاقي، ص٤٠٩.

(٤) بنسعيد، د.سعيد: الغزالي والفلسفة، ٨٦-٨٧.

وترويض النفس على الخشونة[١]. وأن كان لبس الصوف في بعض الأحيان له دلالة على الذل وسوء الحال[٢].

ويرجع الباحثين أَصل الكلمة إلى أسم رجل أو صفته عند العرب قبل الإسلام. أو إلى أهل الصفة في مسجد رسول الله (ﷺ) في المدينة[٣].

وبرأي أبن خلدون الصوفية أقرب إلى المجانين منهم إلى العقلاء. فهم قوم بهاليل معتوهون يأتون بالعجائب والمنكرات ويسقطون عن أنفسهم التكاليف الشرعية[٤].

ويسوق المتصوفة أحياناً أَدلة تاريخية يستشهدونَ بها على تجاربهم الصوفية وإعطائها مسحة عالمية وأنها من الأمور التي عرفتها البشرية في فكرها وحضارتها في مختلف العصور والأَزمان[٥]. وقد اشرنا سابقاً إلى أنَّ الغزالي مات أبوه وهو طفل ووصى برعاية الغزالي وأخيه أحد أصدقاءه من الصوفية، فأقبل هذا الصوفي على تعليمهما[٦]. ومن الواضح أنَّ هذا الصوفي قد غرزَ في نفس الغزالي حب الصوفية والتصوف منذ نعومه أظفاره.

ويشرح لنا الغزالي قصته مع الصوفية، فيذكر أنه ابتدأ بتحصيل علمهم بمطالعة كتب الحارث المحاسبي (ت ٢٤٣هـ) ومؤلفات الجنيد البغدادي (ت ٢٩٨هـ). وقرأ كتاب ((قوت القلوب)) لأبي طالب المكي (ت ٣٨٦هـ)، وغيرهم من كبار الصوفية.

---

(١) شلق، د. علي: العقل الصوفي في الإسلام، دار المدى، بيروت،ط١، ١٩٨٥، ص١١ .

(٢) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، صححه: محمد بن سعيد العرفي، دار الكتاب العربي، بيروت، بلا تاريخ، ج١٤/ص١٣٢.

(٣) أبن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ): تلبيس إبليس، صححه وعلق عليه أدارة مطبعة المنيرية، مكتبة الشرق، بغداد، ١٩٨٣، ص١٦١، .

(٤) أبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ): المقدمة،مكتبة المثنى، بغداد، بلا تاريخ، ص١١٣.

(٥) عبد الحميد، عرفان: الأمام الغزالي، ص٥٩٧.

(٦) السبكي: طبقات الشافعية، ج٣/ص٣٦٩. الزبيدي: إتحاف السادة المتقي، ج١/ص١٠.

ويقول الأمام أبو حامد الغزالي أنه حصل ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع، فظهر له أَنَّ أخص خواصهم ما لا يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات[١]. حتى صار الغزالي يحاكي الصوفية في أنفاسهم وخطرات قلوبهم ويسايرهم خطوة خطوة، وأشرب حب من يسميهم بـ(علماء الآخرة) وهم الصوفية. وذهب به الحال بعيداً إلى أَن أنكر عليه معاصروه استسلامه لخطرات الصوفية الوجدانية التي لا تقيدها الشريعة الإسلامية[٢].

رغم ذلك فالنقاد والباحثون رموه بجهل الصوفية وسلوكه فيها بيداء مضلة حتى أَثبت الزبيدي(ت ١٢٠٥هـ) وغيره أَنَّ الغزالي لم يزد على أَنْ يحاكي ما في قوت القلوب والرسالة القشيرية، وقد كان قوت القلوب وإحياء علوم الدين موضع رعاية الصوفية. فالأحياء يمتاز بالإسهاب والتفصيل فهو يرثك العلم وقوت القلوب فيه الدقة والإخلاص فهو يرثك النور[٣].

لقد شرب الغزالي كأس الصوفية في صباه وأضطره الفقر والعوز الذي مر به في بواكير حياته إلى اللجوء إلى الزهد والتصوف في طوس. فضلاً عن كفالة الصوفي له في صباه. إلا أن الأمر أختلف في بغداد فجاهه قد عظم وحشمته زادت حتى صار بمرتبة الأمراء، فأصابهُ الكبر والخيلاء بما رزق من الجاه والعلو[٤].

إلاَّ أنَّ نظره في الصوفية والزهد أَدت به إلى رفض الرئاسة والجاه، والأنابة إلى التألُّه وإصلاح النفس وطرد شيطان الرعونة ولبس زي الأتقياء، وذلك بمجاهدة نفسية يبدو أنها كانت عنيفة وأفضل الجهاد عند الصوفية كما يقول الغزالي أن تجاهد نفسك[٥].

---

(١) الغزالي: المنقذ من الضلال، ص١٢٣-١٢٤.

(٢) مبارك، زكي: الاخلاق عند الغزالي، ص٦٢-٦٣.

(٣) مبارك، زكي: الاخلاق عند الغزالي، ص٦٣

(٤) الذهبي: سير اعلام، ج٣٢١/١٤.

(٥) الغزالي، محمد بن محمد: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٤، ١٩٨٠، ١٩٨٠، ص١٥.

فرغب عن بغداد وترك الجاه والشهرة وقصد الشام مدة عشر سنين وأثناءها انكشف له – كما يقول الغزالي– أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها وأيقن أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى وأن سيرهم أحسن السير وطريقتهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق. فالصوفية بنظر الغزالي مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يُستضاء به[١].

وتمتع الغزالي في نعيم خلوته بما هو فيه من لذة الصفاء الروحي وكان من المتوقع أن يستمر فيما أختاره من عزلة وزهد، إلاَّ أَنَّ التردد والحيرة اعترته من جديد. ويعلل سبب الحيرة في عزلته بما أصاب المجتمع الإسلامي من فساد في الأخلاق وشلل في الفكر وجمود في العلم فكان بحاجة إلى من يحارب الفساد ويصلح الأخلاق ويوقظ الفكر ويبعث العلم. وأنقدح في ذهنه أن ينهي عزلته من أجل تلك المهمة. ويقول الغزالي في ذلك أنه كما لم يكن الخروج من بغداد وحياة الترف والرغبة بحياة الزهد والعزلة مما خطر على البال فكذلك أنقدح القلب في الخروج من هذه العزلة. فالله مقلب القلوب والأحوال[٢].

هذا هو تسويغ الغزالي للخروج من عزلته ودار زهده دمشق. إلا أن ذلك لا يبدو مقنعاً تماماً. فالأمام الغزالي في عزلته كان مكباً على التأليف في الأخلاق والفقه والعلوم الشرعية وهو السلاح الوحيد الذي يملكه لمحاربة الفساد وإصلاح الأخلاق والرد على المخالفين. والذي أراه هو أن الغزالي وأثناء عزلته وانصرافه إلى القراءة والتأليف اهتدى إلى أن الخروج إلى الناس ودعوتهم إلى طريق الحق هو القرار الاصوب، فهو لا بد أنه قرأ الآثار والسنن في تلك العزلة. وهذا ما يفسر لنا توجهه إلى طلب الحديث الشريف بعد ذلك ودراسته وتعلمه وترك ما سواه في العلوم خاصة في أواخر أيامه[٣]. والمعروف عن الصوفية أنهم مقلون في الحديث وعلومه

(١) الغزالي: المنقذ من الضلال، ص١٣١.

(٢) الغزالي: المنقذ من الضلال، ص١٥١.

(٣) أبن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين (ت ٥٧١هـ): تبيين كذب المفتري على أبي الحسن الاشعري، دمشق، ١٩٢٧، ص٣٩٦.

والسنن والآثار[١]. فتوجه الغزالي إلى الحديث النبوي الشريف هو الذي يبرر لنا قراره بإنهاء عزلته والخروج إلى الحياة العامة ومحاولة أصلاح الأخلاق التي فسدت ونشر العلوم ودراستها ومنها الحديث النبوي الشريف[٢].

ويرى عدد من الباحثين أنَّ الغزالي اختار التصوف والزهد والعزلة بسبب اغتيال الوزير ((نظام الملك)) سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م وما أَحدثه ذلك من هزه وجدانية عميقة في نفسه جعلته يضطرب بين الخوف والسلبية والتصعيد ومهاجمة الباطنية وفكرها فكان اختياره الانعزال والسلبية[٣].

إلاَّ أَنَّ هذا الاستنتاج لا يستقيم مع استمراره في البقاء في بغداد بعد ذلك ثلاث سنوات حتى سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م. وما أَلفه في بغداد من مؤلف مشهور هاجم فيه الباطنية وفكرهم وهو ((فضائح الباطنية)).

لم يسلم الغزالي من الهجوم حتى من أبناء طريقته من الصوفية فقد هاجمه الفيلسوف الصوفي أبن سبعين (ت ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م) بصورة لاذعة ونبرة قاسية إذ وصف الغزالي فقال: ((لسان دون بيان وصوت دون كلام وتخليط يجمع الإضداد، وحيرة تقطع الإكباد، مرة صوفي وأخرى فيلسوف وثالثة اشعري ورابعة فقيه وخامسة محير. وإدراكه في العلوم القديمة أضعف من خيط العنكبوت وفي التصوف كذلك لأنه دخل الطريق بالاضطرار الذي دعاه لذلك من عدم الإدراك)) [٤].

وأن كان كلام أبن سبعين ينطبق على حياة الغزالي في بغداد ودمشق إلاَّ أَنَّه لا ينطبق على أَواخر أيامه. فقد قضى الغزالي أيامه الاخيرة في طوس في الاشتغال بالدين والعلم وسماع الحديث الشريف ومجالسة أهله ومطالعة الصحيحين البخاري ومسلم[٥].

---

(١) أبن الجوزي: تلبيس إبليس، ص١٦٦ .

(٢) أبن عساكر: تبيين، ص٣٩٧. السبكي: طبقات الشافعية، ج٣/ ص٣٩٦.

(٣) بنسعيد، د. سعيد: الغزالي والفلسفة، ص٨١.

(٤) أبن سبعين (ت ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م): بُدْ العارف، دار الأندلس، بيروت، ١٩٧٨، ص٤٤١.

(٥) أبن عساكر: تبين، ص٣٩٦. السبكي: طبقات الشافعية، ج٣/ ص٣٩٧.

أن الذاكرة الإسلامية جمعت بين عدة صور مختلفة ومتناقضة للأمام الغزالي. فالغزالي أمام المسلمين وحجة الإسلام مؤلف كتاب ((أحياء علوم الدين)) يغدق عليه السبكي مؤرخ الشافعية الأكبر بالمديح[١]. ويتابعه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين. وصورة الغزالي العالم الزاهد الذي يميل إلى الفلسفة والتصوف كما يراه أبن تيمية والذهبي[٢].

مع ذلك أمكن الجمع بين الصورتين المتناقضتين لتخرج صورة واحدة هي صورة (حجة الإسلام). فكيف أمكن لهذا التناقض أن يجتمع؟ وكيف أمكن للغزالي أن يكون كذلك؟

سؤال متشعب الجوانب متعدد الإنحاء يمس جميع مظاهر الحياة الروحية والفكرية في الإسلام في عصر الأمام الغزالي. فأبو حامد الغزالي هو الذي عبر عن هذه العلاقة العسيرة بين المتناقضات العلاقة بين الفكر والممارسة في زمن أقل ما يقال عنه أنه عصر ضياع وتيه وسرعان ما اهتدى الغزالي إلى طريق الحق[٣].

(١) السبكي: طبقات الشافعية، ج٣/ص٤٠١.
(٢) الذهبي: سير أعلام، ج١٤/ ص٤٠١.
(٣) السبكي: طبقات الشافعية، ج٣/ص٤٠١.

-الخاتمة-

في ختام هذا البحث نسوق ما توصلنا إليه من نتائج ومنها:-

١- الغزالي ولد ونشأ في عصر نضجت فيه العقائد والأفكار والمذاهب. مع اشتداد الصراع بين تلك المذاهب والأفكار.

٢- ذلك التنوع الكبير والتناقض الحاد بين تلك العقائد والأفكار هو الذي دفع الأمام الغزالي للخوض في كل علم والولوج في كل طريقة من أجل الرد على الذين يخالفونه في المعتقد.

٣- على الرغم من الجفاء بين الصوفية وأهل الحديث والحنابلة إلا أن الصوفية ممثلةً بالغزالي اصطفت إلى جانب الحنابلة للدفاع عن شرعية الخلافة العباسية بوجه الباطنية والفواطم وأهل الفلسفة.

٤-أن جعل الشك أولى خطوات الوصول إلى اليقين وأن كان في مجال المعرفة كما ذكر الغزالي إلا أن ذلك يفصح عن وجود شكوك لدى الغزالي حتى في العقيدة. إلا أن هذا الشك قاده أخيراً إلى الإيمان وأتجه به أخيراً إلى الانقطاع إلى الحديث النبوي. وواضح ما للبيئة من تأثير على تحولات الغزالي الروحية والفكرية.

٥-إنَّ عصر الغزالي المتعدد والمذاهب والعقائد والمتشعب والطرق والمتشابك والمتداخل الرؤى جعل من العسير على المرء أن يختط لنفسه عقيدةً خالصةً مستقلة عن المحيط الذي يعيش فيه. فلا بد للحنبلي أن يطلَّعَ على أفكار الاشاعرة. والأشعري، لا بد أن يسلك طريق الصوفية. والأَمامي والزيدي، لا بد أن يقرأ أفكار السنة. والفيلسوف عليه أن يطلع على أفكار الجميع وهذا ما جسده الغزالي الذي تلون بألوان الصوفية والاشعرية والفلسفة والسلفية أخيراً.

٦-أستطاع الغزالي أن يشوش على الفلسفة في كتابه ((تهافت الفلاسفة)) وأن يحجمها زمناً في المشرق الإسلامي. إلا أنها ظهرت في المغرب العربي،

وخاصة في الأندلس وازدهرت على يد أبن رشد وأَبن باجه وأبن عربي وأبن سبعين.

إن تحولات الأمام الغزالي الفكرية والروحية هي التي جعلت منه مادةً خصبةً للدرس والبحث والاستقصاء والخلاف الحاد بين المفكرين قديماً وحديثاً.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر الأولية:-

١- **القرآن الكريم.**

- **أبن الأثير، أبو الحسن علي بن عبد الواحد (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).**

٢- الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧.

- **الأمام مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م).**

٣- صحيح مسلم، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧.

- **التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس (ت ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م).**

٤- الأمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه: أحمد أمين وأحمد الزين، دار الحياة، بيروت، بلا تاريخ.

- **أبن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).**

٥- تلبيس إبليس، صححه وعلق عليه أدارة مطبعة المنيرية، مكتبة الشرق، بغداد، ١٩٨٣.

٦- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.

- **الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).**

٧- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، صححه: محمد ن سعيد العرفي، دار الكتاب العربي، بيروت، بلا تاريخ.

- **أبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م).**

٨- المقدمة، مكتبة المثنى، بغداد، بلا تاريخ.

- **أبن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).**

٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تقديم وتحقيق: د. يوسف الطويل ود. مريم الطويل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨.

- **الذهبي، الأمام شمس الدين محمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).**

١٠- سير أعلام النبلاء، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٧.

- **ابن رشد، ابو الوليد محمد بن احمد الاندلسي (ت٥٩٥هـ/ ١١٩٨م).**

١١- تهافت التهافت، قدم له: د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط١، ٢٠٠١.

- **الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م).**

١٢- إتحاف السادة المتقين بشرح أحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩.

- **سبط أبن الجوزي، أبو الظفر يوسف (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م).**

١٣- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق: جنان خليل الهموندي، الدار الوطنية، بغداد، ١٩٩٠.

- **أبن سبعين، عبد الحق بن إبراهيم بن محمد (ت ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م).**

١٤- بد العارف، دار الأندلس، بيروت، ١٩٧٨

- **السبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م).**

١٥- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١، القاهرة، ١٩٦٥.

- **أبن عذاري، أبو عبد الله محمد المراكشي (ت ٧١٢هـ/ ١٣١٢م).**

١٦- البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: أحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧.

- **أبن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م).**

١٧- تاريخ دمشق الكبير، تحقيق: العلامة: أو عبد الله علي عاشور، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١.
١٨- تبيين كذب المفتري على أبن الحسن الأشعري، دمشق، ١٩٢٧.
- **الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥هـ/١١١١م).**
١٩- أحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، بلا تاريخ.
٢٠- أيها الولد، تحقيق: احمد مطلوب، وزارة الأوقاف، بغداد، ١٩٨٦.
٢١- تهافت الفلاسفة، قدم له: احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.
٢٢- الدرة الفاخرة في معرفة علوم الآخرة، تحقيق: جميل إبراهيم. حبيب، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٨٦.
٢٣- فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية، تحقيق، عبد الرحمن بدوي/ دار الكتب الثقافية، القاهرة، ١٩٦٤.
٢٤- معارج القدس في مدارج معرفة النفس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٤، ١٩٨٠.
٢٥- مقاصد الفلاسفة، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١.
٢٦- المنقذ من الضلال، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.
- **الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م).**
٢٧- قوانين الوزارة وسياسة الملك، تحقيق ودراسة: د. رضوان السيد، دار الطليعة، ط١، بيروت، ١٩٧٩.
- **المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله التنوخي (ت ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م).**
٢٨- اللزوميات، دار صادر، بيروت، ١٩٦١.
- **ياقوت، شهاب الدين الحموي (ح ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).**
٢٩- معجم البلدان، تقديم: محمد عبد الرحمن مرعشلي، دار أحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

المراجع الحديثة:-

- **أمين، أحمد:**

١-ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

- **باسيل، فكتور سعيد:**

٢-منهج البحث عن المعرفة عند الغزالي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بلا تاريخ.

- **راضي، تقي الشيخ:**

٣-يعقوب بن إسحق الكندي وفلسفته، مطبعة سلمان الاعظمي، بغداد، ط١، ١٩٦٢.

- **أبو ريان، د. محمد علي:**

٤-تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار الجامعات، الإسكندرية، ١٩٧٤.

- **السامرائي، د. خليل إبراهيم:**

٥-دراسات في تاريخ الفكر العربي، جامعة الموصل، ١٩٨٣.

- **شلق، د. علي:**

٦-العقل الصوفي في الإسلام، دار المدى، بيروت، ط١، ١٩٨٥.

- **العلوجي، عبد الحميد:**

٧-الباطنية وتياراتها التخريبية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٩.

- **مبارك، زكي:**

٨-الأخلاق عند الغزالي، المكتبة التجارية، القاهرة، بلا تاريخ.

- **متز، آدم:**

٩- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريده، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤.

- **المعاضيدي، د. خاشع وآخرون:**

١٠- الوطن العربي والغزو الصليبي، جامعة الموصل، ١٩٨١.

- **الندوي، السيد أبو الحسن علي:**

١١- رجال الفكر والدعوة في الإسلام، تقديم: الدكتور: مصطفى السباعي والدكتور: مصطفى الخف، دار أبن كثير، دمشق- بيروت، ٢٠٠٧.

- **النشار، علي سامي:**

١٢- مناهج البحث عند مفكري الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦.

- **نعمة، عبد الله:**

١٣- فلاسفة الشيعة حياتهم وأرآؤهم، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧.

الاطاريح والرسائل الجامعية:-

- **الجبوري، عبد اللطيف جدوع:**

١- الفلسفة التربوية عند الغزالي، اطروحة دكتورا غير منشورة، مقدمة إلى جامعة بغداد.

- **الدليمي، عكاب يوسف:**

٢- الحنابلة في بغداد (٤٤٧- ٥٧٥هـ)، اطروحة دكتورا غير منشورة، مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٠.

- **علاوي، طيب صالح:**

٣- الحياة العلمية والفكرية في العراق والمشرق الإسلامي في ظل السلطة البويهية، ٣٣٤- ٤٤٧هـ. اطروحة دكتورا غير منشورة، مقدمة إلى كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠٩.

٤- المواقف الفكرية للخلفاء العباسيين من الفرق الإسلامية ١٣٢- ٦٥٦هـ رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠٦.

-البحوث والدراسات-

- **بنسعيد، د. سعيد:**

١-الغزالي والفلسفة متاهات التأويل، بحث منشور في مجلة الفكر العربي، العدد ٤١، ١٩٨٦.

٢-الفكر الأخلاقي السياسي الأشعري والثقافة اليونانية، بحث منشور في مجلة الفكر العربي، العدد ٣٣- ٣٤، ١٩٨٣.

- **جابر، قاسم حبيب:**

٣-الفلسفة الإسلامية تاريخ وأصالة، بحث منشور في مجلة الفكر العربي، العدد ٨٥- ٨٦، ١٩٩٦.

- **الجومرد، د. جزيل والنعيمي، د. نزار محمد:**

٤-الوزارة العباسية في أحرج أوقاتها، بحث منشور في مجلة الأحمدية الإماراتية، العدد١٤، ٢٠٠٣.

- **عبد الحميد، د. عرفان:**

٥- الأمام الغزالي، دراسة في المنهج، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، تشرين الأول، ١٩٨١.